13 me Année No. 650

Lundi —17—12—1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٦٥٠ «القاهرة في يوم الإثنين ١٢ محرم سنة ١٣٦٥ — ١٧ ديسمبر سنة ١٩٤٥» السنة الثالثة عشرة

مؤلف العباســـة

بكرم صاحب الجلالة الفاروق

ربما كان صاحب (الأنات الحائرة) مثلا فريداً في تاريخنا الأدبي كله: أبدر قمره وهو هلال يلوح، وأينع ثمره وهو زهر يفوح، واكتمل شعره وهو قصيد ينوح؛ فلم نكد نرى الشاعر وجدانياً يرجّع الأنات على قبر (زين)، ويوقع الذكريات على ضريح (خديجة)، حتى رأيناه روائياً يحتجب وراء الأستار، ثم يقول قول الفلاسفة، ويفعل فعل الآلهة: فيبعث الأموات، ويخلق الأشخاص، ويصيد الأحداث، ويصور الأخلاق، ويمثل العواطف، ويفلسف الحياة، ويرسم البيئة، ويستخلص العبرة! وبين الشعر الوجداني والشعر التراثي دهر طويل وشوط بعيد لا بد منهما ليستطيع الشاعر أن يخرج عن ذاته، وينقل عن حياة غيره لا عن حياته؛ ولكن شاعر المآسي نضج باكراً من حرارة الحزن، وفاض طاغياً من فوران الحس، وانفجر صارخاً من بُرَحاء الألم. فهو فريد في نبوغه، فريد في نبوغه، فريد في تطور شعره، فريد في استفاضة ذكره، فريد في كل ما يتصل بشاعريته حتى في الإشادة بها والإثابة عليها؛ فقد تفضل صاحب الجلالة الملك فاروق أعز الله نصره، وجمل بالآداب والفنون عصره، فأنعم على مؤلف العباسة بالباشوية، وما علمنا قبل عهد الفاروق ومجد عزيز أن رجلا أصبح باشا لأنه شاعر! والذي نعلمه أن الخلفاء في عهود الحضارة العربية قد نالوا الإمارة، والكتّاب قد بلغوا الوزارة، ولكن الشعراء كانوا كالمغنين والموسيقيين، شيئاً من زينة المُلك وتَرَف الدولة، ينادمون الخليفة ولا يدخلون في بطانته، ويطربون الشعب ولا يحسَبون في قادته. فإذا أصبحنا ننظر إلى الشاعر العربي النابغ نظر الإنجليز إلى شاعر الملكية شكسبير[1]، أو إلى شاعر الإمبراطورية كبلنج، فإنما يرجع الفضل في هذا النظر الجديد السديد إلى عطف ملكنا فاروق وفن شاعرنا عزيز!

ليت الشاعر أو الذين رصدوا كوكبه وسايروا هواه من لداته وثقاته حللوا عوامل هذا النبوغ المفاجئ، وسجلوا أطوار هذا الشعر المحكم، فإن رجال الأدب يستبعدون أن يولد شاعر بهذا الكمال، ويوجد شعر بهذا الجمال، في صيف عام واحد. والراصد البعيد في الأمر أمراً من فضل الله، وفضل الله يؤتيه من يشاء لحكمة لا يدخل تعليلها في منطق عباده.

يرى الراصد البعيد تلك النفس الطلينة التي أسبلت على مواهب هذا الشاعر وعواطفه شقيقةً وصديقةً وزوجة، فيذكر أم المؤمنين التي حضنت الرسالة وواست الرسول وناصرت الدعوة. ثم يسمع هذا الشاعرَ المفجوع يهتف بشعر يونية وما تفجر فيه على قلبه من ينابيعَ بعضها يسيل هادئاً بالثلة، وبعضها يهدر صاخباً بالألم؛ فيذكر شهر رمضان وما تجمع فيه للاسلام من الذكريات الملهمات

(١) قال كرلايل في كتابه الأبطال: «لو خيرنا بين أن نترك شكسبير أو بلاد الهند لقلنا: سواء أحكمنا الهند أم لم نحكمها فلا غنى لنا عن شكسبير؛ فسيجيء يوم يصبح فيه أبناء بريطانيا مبعثرين في الأرض ولا يجدون لهم ملكاً يجمعهم غير شكسبير».

من يوم بدر ، إلى ليلة القدر . ثم رى هذا الفيض الشعرى الدافق يتبجس فجأة على لسان (المدير) بعد سن الأربعين ، فيذكر الفضل الذى آتاه الله سيد البلغاء محمداً رسوله وهو فى هذه السن فيفجأ أمراء القول ببلاغة تشبه الإلهام لأنه لم يعانها ولم يتكلفها ولم يَرتَضْ لها ولم يشتهر بها قبل البعثة .

ذلك ما يراه الراصد البعيد وما يذكره . أما الناقد العليم بأسرار القلوب فيرى أن زوج هذه النفس اللطيفة كان يقول الشعر منذ ثلاثين سنة . كان يقوله حين خالصها الأخاء وهى قريبة ، وحين صافاها المحبة وهى خطيبة ، وحين صادتها الوفاء وهى زوجة ؛ ولكن شعره فى هذا العهد الحبيب الخصيب كان صامتاً لا ينطق به لسان ولا قلم ؛ لأن الشعور السعيد كالماء اللجىّ إذا عمق هدأ ثائره وسكن سطحه . والأليفان إذا لبس كل منهما صاحبه خُيل إليهما أنهما الصورة ، وكل ما على الأرض من شخص وشىء إطار ؛ فالشاعر يشدو بهما ، والمغنى يغنى لهما ، والطبيعة الصادحة والباغمة كلها تعبر عن النظرة الساهمة فى العين الحالمة ، وتفسر اللفظة الهائمة على الشفة الباسمة ؛ فما بهما إذن من حاجة إلى كلام يقاس بالتفاعيل ويحدُّ بالقافية .

كان ذلك والعش الوثير الدافئ ناعم فى ظلال الأمن ، غارق فى صفاء النعيم ؛ فلما لحظته عيون النيّر ، وقوضته أيدى شَعوب ، ارفض صبر الشاعر ووهى جَلَد الزوج فجأر بالشكوى وزفر بالأنين ؛ وكان من تلك الزفرات الحارة وهذه الأنات الحائرة مجموعةٌ من الشعر الباكى استوجفت القلوب واستوكفت العيون وإن هش بها الفن وصفق لها الأدب ! وهكذا استطاع الحزن أن يحمل شاعرنا على أن ينوح ، ولم يستطع السرور أن يحمله على أن يغرد .

ثم ضاق وُسعه عن احتمال أساه ، فطفق ينشد العزاء فى مآسى الأزواج الذين تساقوا كؤوس الهوى صافية مترعة ، ثم سعى بينهم الدهر ، وصدع شملهم البين ، فزج دمعه الدامى بدموع قيس وجعفر ، وبكى ربعه الموحش فى ربوع لبنى والعباسة . فكان شعره الدامى تعبيراً عن ذاته وتمثيلا لمأساته ، وإن تغيرت الأسماء وتباينت الصور واختلفت النتائج .

شعر عزيز باشا الذى سمعناه أو قرأناه شعر عالى الطبقة ؛ جرى فيه على سَنَن الفحول من صاغة القريض ، فنضَّد اللفظ وجوَّد المعنى وراض القافية ، وهى صفات لا تكتسب إلا بسعة الاطلاع وطول المعاناة وقوة الملكة . وإن له فى الديوان الأول قصائد ترفعه إلى المكانة العليا من شعراء العربية . ولكن هذا الشعر كله قد قطّر من فؤاده القريح كما يقطر الدمع من العين أو الدم من الجرح ؛ فهو وليد الأسى وربيب الألم . فليت شعرى أيعتريه الذّوِىّ إذا ما التأم جرحه واندمل قلبه وجف ينبوعه ، أم يَفْجُر الله له ينابيع أخرى تسقيه وتغذيه فيزكو ويتلون ويتنوع؟ إن الرجل فنان موهوب ما فى ذلك شك . وإن فنه الحزين قد استطاع على قرب عهده بالحداد أن يحلق فوق السحائب الجون فيكشف آفاقاً بعيدة ويخلق معانى جديدة . ولعلك تجد فى العباسة على الأخص مصداق ذلك ، فإن فيها الغزل الرقيق ، والفلسفة الراشدة ، والسياسة الحكيمة ، والصور الاجتماعية ، والنوازع النفسية ، وكل ذلك فى حوار قوى ، وتشويق جاذب ، وتنسيق عجيب ، ومواءمة بين المعنى واللفظ ، وملاءمة بين الموضوع والوزن ؛ ومثل ذلك لا يتسنى إلا لمن ملك ناصية الشعر وقبض على أزمّة البلاغة

لهذا النبوغ الأصيل ، وهذا الشعر الفخم الجليل ، استحق شاعرنا التكريم . ومن تكريم الله إياه أن كرّمه صاحب الجلالة الفاروق بأرفع الرتب فى الدولة . ولهذا الإنعام السامى مغزى خطير وأثر كبير فى نهضة الأدب وحياة أهله : مغزاه الخطير أنه توجيه ملكى كريم إلى ما ينبغى أن يكون عليه أمر الأدب وقدر الأديب فى هذا العهد . وهو تنويه بشأن البلاغة العالية فى الوقت الذى طاولها فيه الأدب الخسيس فطغت السوقية على الصحافة والعامية على المسرح .

وأثره الكبير أنه تشجيع رفيع لعزيز باشا على أن يجرى إلى أبعد الغايات فى شعره ، تحقيقاً لرغبة المليك وقياماً بواجب شكره . وهو تشجيع لكل شاعر على أن يجدد ويجيد التماساً لرضا الفاروق حامى الفن ونصير الأدب .

وفى هذا الإنعام السامى كذلك تكريم للأسرة الأباظية العظيمة على ما أشاعت فى الأمة من خصال الفتوة . وللفتوة العربية عناصر أهمها الشجاعة والفصاحة والسماحة والمروءة ، وهى الخصال الغالبة على زعماء هذه الأسرة مَن سلف منهم ومن خَلَف .

نضر الله بأمثالهم عهد الفاروق ، وجدد بأعمالهم مجد مصر

احمد حسن الزيات